

sept. 72.

حوادث عربية

هل يكون العمال هم طليعة الثورة في المغرب وسط بحر الانشقاقات؟

جماعة الخارج ليطالبون بالجمهورية، وجماعة الداخل ليطالبون... الملك؟



الملك الحسن

يعرف أن الجمهورية أعلنت في المغرب أربع مرات .. في الربيع عام ١٩٥٨ ، وفي الدار البيضاء عام ١٩٦٥ والصخيرات عام ١٩٧١ ثم أعلنت في ١٦ اغشت (آب بالتعبير

المغربي) ١٩٧٢ « . هكذا تقول المسطور الاولى من أول نشرة يصدرها التنظيم السياسي المغربي الجديد . أو آخر الإنشاقات في حزب الاتحاد الوطني للقوى الشعبية . المعروف باسم جماعة الرباط ..

و « الجمهورية » أعلنت فعلا في حركة عصيان المقاومين الشعبين أو جيش التحرير المغربي (١٩٥٨) الذي رفض التسوية السياسية مع فرنسا ، وثار ضد حكم ما بعد الاستقلال ، واعصم في جبال الريف المعقل القديم للثورة الوطنية التي قادها عبد الكريم الخطابي .. وتلك الثورة تمها الجيش المغربي بقيادة الكولونيلات الذين خدموا في جيش فرنسا ، وان كان القائد العام للحملة وقتها هو الأمير « الحسن » .. وتمت عملية التصفية في ظل حكومة حزب الاستقلال ..

أما الجمهورية الثانية ، فلم يتخذ اعلانها مظهرا أبعد من ملصقات الحائط ، ومكبرات الصوت في المدارس اثناء سيطرة الطلبة على الدار البيضاء مدة ثلاثة ايام عام ١٩٦٥ .. حتى قام أوفقيز بفتح المدينة واعادة الملكية فيها ! والجمهورية الثالثة اذاعها الملحن المغربي الاعمى عبد السلام عامر الذي درس الموسيقى في مصر بضع سنوات وله بعض الألحان تذاق من « صوت العرب » احيانا ، وذلك خلال مذبة الصخيرات من اذاعة المغرب . وانتهت باقتحام القوات الموالية بقيادة أوفقيز للاذاعة بعد عدة ساعات ..

أما الجمهورية الرابعة ، فليس هناك أي دليل أو مستمسك على انها أعلنت خلال الساعات الاربع التي سيطرت فيها الطائرات من طراز ف ٥ على جو مدينة الرباط .. ووسط الفوضى وتضارب الانباء عن الموقف ، ومحاولة المشركين في المحاولة الهرب ..

المهم في هذه المقدمة انها تشكل أول مطالبة صريحة باسقاط النظام الملكي واقامة الجمهورية في المغرب ، ويعلمنا تشكيل سياسي معترف به وموجود بصفة رسمية في المغرب ، بل ومتهم من خصومه انه مدعوم من قبل القصر ! وان كان البيان قد طبع ووزع بشكل سري . فجماعة ، ٣٠ يوليوز (تموز) ، كما يسميهم خصومهم ، أو اللجنة الادارية الوطنية ، كما تطلق على نفسها ، سبقت جميع القوى السياسية في المغرب بالمطالبة بالجمهورية ، فبالا من شعار « الملكية الدستورية » والنمساك بالعرشي « المؤسسة الوطنية » التي تدعم « الوحدة الوطنية » .. يعتقد التيار الجديد ان الملكية : « اصبحت تنتظر الضربة الاخيرة التي سوف تتقلع جذورها ، فهي تبحث الآن عن يغيثها وينقذها » . « واصبحت صورة الحكم الملكي واضحة ومكتشفة عند الشعب المغربي بجميع فئاته وبان للجميع ان الملكية هي العقلة (العقبة) الوحيدة التي تقف في وجه تطور البلاد » .

ويخرج التقرير من ذلك الى ان « اي مساندة للحكم المتأخر ، سوف لن تكون الا ضد مصلحة الشعب وضد ارادة الجماهير في التغيير الجذري » .

بل وتعتقد جماعة (٣٠ يوليوز) ان « الحركة الوطنية ازدادت مرضا بسبب اعتبارها ان الملكية وطنية » . « ان الحركة الوطنية قد تخلت عن شعار الجمهورية وعن

مفهوم العنف المسلح للجماهير ، وتبنت الاسلوب الغربي البيروقراطي للتجارة والمساومة السياسية في مفاوضات الاستقلال ، مما ادى الى اخلائنا في زنازة الاستعمار والاقطاع حتى يومنا هذا » .

والتشكيل الوليد — رغم عراقه زعمائه في الحركة الوطنية المغربية — يجد نفسه في مبرارة يسارية مع جناح النقابيين « عبدالله ابراهيم » و « محجوب بن صديق » وكذلك مع حزب الاستقلال ، بل وحتى التيارات الماركسية والماوية التي تكتسح صفوف الطلبة ..

لذلك يطرح المنشقون الجدد شعارات أكثر يسارية من مضمونهم الحقيقي فهم يدعون : لتصفية الاستعمار والاقطاع من جهة والتجهيد لمرحلة التحول الاشتراكي من جهة ثانية .. وهو « يختار الاشتراكية العلمية منها ، استجابة لواقع موجود ولحاجيات قائمة وملحة » وهو بانخاذه الاشتراكية منها وعقيدة ، قد اختار نهائيا ارقى الاشكال التنظيمية وانضجها واكثرها انسجاما مع استمدادات العمال والفلاحين » ، « فالاشتراكية ضرورة لا بد منها ، ليس فقط لان التحليل العلمي وقوانين نضج المجتمع تفرض ذلك ، بل وايضا الاستجابة الامينة لطالب الجماهير والبلاد في التحرر والتقدم » .

وفي مواجهة نظرية حزب الاستقلال التي تعتبر المنقذين طليعة التحول أو الثورة المنتظرة في المغرب ، يؤكد المنشقون في حزب الاتحاد الوطني ، على ان « قيادة الحركة هي في العمق والواقع بيد الجماهير العمالية والفلاحية لا بيد سواها » ولا مكان فيها للبيروقراطية أبدا « .. أما الطلبة فهم « لا يشكلون فئة معينة قائمة بذاتها ، الامر الذي يجعل منهم قوة سياسية مناضلة قد ترتفع درجتها النضالية في ظرف سياسي معين ، وفي وضع اجتماعي معين لتتصطف في الصفوف الامامية في المعركة ، ولكنها تظل تاريخيا ونضاليا رافدا من روافد النضال الثوري للقوى الشعبية وليست طليعة اها » .

ثورة مثقفين

وهذا التحليل للقوى الاجتماعية في المغرب ، الذي يميله — في اعتقادنا — محاولة انتزاع النقابات من سيطرة القيادة الرسمية للحزب ، والظهور بظهر التقدمي ضد تحليل حزب الاستقلال الذي يؤمن بالثورة الدستورية الثقافية التي تقوم بها القيادات العربية من المثقفين .

فحزب الاستقلال ينظر الى الثورة المغربية لا كصراع طبقي تقليدي بمفاهيم ماركسية القرن التاسع عشر ، بل كضرورة تاريخية ، تحتها ظروف بلد مختلف تزداد القدرة اتساعا بينه وبين العالم المتقدم .. هذا التخلف تفرضه « السيطرة الاستعمارية التي ما تزال تهيمن — بواسطة انظمة الحكم الرجعية — على مقدرات الشعوب المتخلفة ، وتستغل إمكاناتها الاقتصادية والبشرية ، وتوجهها بواسطة التأثير في التعليم المنحرف وفي التوجيه الثقافي والاقتصادي وبواسطة « الخبراء » الذين يقومون بدور الطابور الخامس ، والملاء الداخلين » .

لذلك « اصبح الشعار المطلوب هو التغيير الجذري من اجل الإصلاح ، وليس التغيير عن طريق الإصلاح » .

ولكن من يقوم بالثورة المنتظرة ؟ يطرح مفكر الحزب « عبد الكريم غلاب » السؤال ويجب عليه :

« الفلاحون ما يزالون غير واعين وغير منظمين ولا يمكن ان نعتمد على طبقة غير منظمة وغير واعية في خوض معركة التغيير ولا حتى في النطاق الجزئي الذي يهمها التغيير فيه ، وهو الارض : ملكية واستثمارا .

هل يكون العمال هم قيادة الثورة كما تقول الماركسية ؟ .. وهل ترشح للقيادة تلك المنظمات النقابية التي يسيطر عليها الحزب المتأسس ؟ .. (الاتحاد الوطني للقوى الشعبية الذي انشق من حزب الاستقلال سنة ١٩٥٩ بزعامة عبدالله ابراهيم والمهدي بن بركة وبو عبدي ومحجوب بن صديق ويسيطر على النقابات) .

الجواب : « ان نضج الحكم والراسمالية والاحتكارات الاجنبية والوطنية يتفوق على التنظيم النقابي ، ويجعل الحكم متحكما في الطبقة العاملة ويبطل توجهه التنظيم النقابي » . « والوعي ما يزال دون المستوى المرجو ، فالعمال يفكرون في الخبز أكثر مما يفكرون في الديمقراطية » . « ان الطبقة العاملة غير متعلمة في الاغلب الاغم ولكل هذه الظروف يصعب من المشكوك فيه ان نلقي بعبء معركة التغيير على الطبقة العاملة » .

من يبقى اذن لانجاز المهمة التاريخية ؟ يبقى المثقفون وهم : « جميع المثقفين السياسيين والعلماء والطلبة والاطباء والمهندسين والاساتذة والكتّاب والصحافيين والمحامين والوظفين واصحاب المهن الحرة اذا كانوا من المثقفين » ..

وهم جماهير حزب الاستقلال ، وقوته الانتخابية الدائمة .. ولذلك يعلن « عبد الكريم غلاب » « انهم هم الذين يمكن ان يقوموا بالثورة ، هم باعوانها واطاراتها ومنفذوها ، وهم وقودها ان احتاجت المعركة الى وقود » .

بل ويرفض الصراع الذهبي الذي يمزق « وحدة المثقفين في الازمات والتشقيقات .. فالعركة في حاجة الى تفكير عملي للخروج من وهدة التخلف السياسي والاجتماعي والاقتصادي » .

والجدير بالملاحظة ان هذه « الوحدة » الفكرية التي يدعو لها حزب الاستقلال ، تعكس الروح المغربية التقليدية ، فالمغرب كله مسلمون ، وكله سنة ، وكله على مذهب الامام مالك ، بل وكل الطرق الصوفية فيه من اتباع طريقة الامام « الجليل » .. فالمغربي يكره الخلاف ، والمؤرخون الاسلاميون يقولون ان اهل المغرب كانوا اكثر سكان العالم بساطة ويسرا في فهم الاسلام ، حتى « جاءهم المشارقة بخلافاتهم » ..

وعلى ذكر المشارقة ، يبدو ان الانشقاق الجديد ، رغم ماركسيته ، ورغم اختياريه للاشتراكية العلمية ، مضطر لوازمة النشاط العربي الذي يحتكره حزب الاستقلال ، ومضطر في الوقت نفسه لمواجهة النفوذ الصهيوني اليساري — ومعروف ان حركة الطلبة اليسارية يديرها استاذ يهودي — لذلك يحذر جماعة (٣٠ يوليوز) من « الذين يحاولون الطعن في الحضارة العربية المغربية الاسلامية ، وينهون بأساليب مختلفة بالحضارة الغربية ليجعلوا من الشبيبة المغربية اداة طليعة لخدمة المصالح الامبريالية ولعزلها عن المساهمة في تطوير الثقافة العربية والتفاعل معها » « فالاستعمار والامبريالية تحاولان تكريس اليأس والخيبة في نفوس الشباب المغربي ، بتشويه القضية العربية ، وخاصة القضية الفلسطينية ، وهي محاولة تستهدف اولاً الوحدة العربية ، كما ترمي الى بعث نوع من التعالي والمغرور لدى بعض الشباب المغربي » .